الطريقة المحمدية
صوفية سلفية شرعية

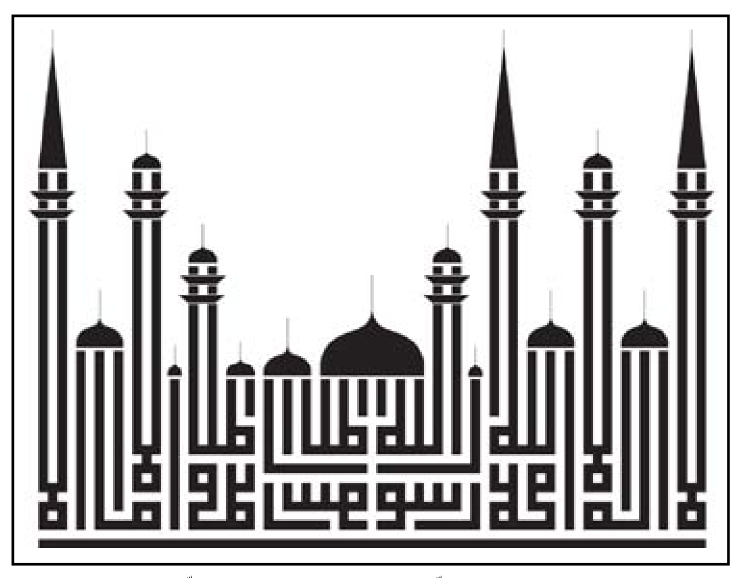
الخطاب

هذا هو تصوفنا، وتلك هي دعوتنا
ربانية الكتاب والسنة. عدلاً بغير إفراط ولا تفريط

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الطبعة السابعة


الخطاب
هذا هو تصوفنا، وتلك هي دعوتنا



لا إله إلا اللّه .. محمد رسول اللّه

الطبعة السابعة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

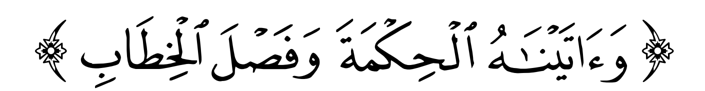
علق عليها

العلامة المحقق الشيخ

عبد الرحمن حسن محمود

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم

[سورة ص: الآية ٢٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

الطريقة المحمدية
صوفية سلفية شرعية

الخطاب

هذا هو تصوفنا، وتلك هي دعوتنا

ربانية الكتاب والسنة. عدلاً بغير إفراط ولا تفريط

صورة الخطاب الصوفي السلفي الشرعي التاريخي الذي كتبه مولانا الإمام محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية، إلى أحد خواص مريديه.

دعـــاء

دعـا فضيلة مولانـا الإمام الرائد رحمـه الله تعالى لأحـد الأخوة في خطاب له فقال:

« أَذَلَّ اللهُ كُلَّ عَـدُوٍّ لَكَ إلا نَفْسَـكَ ، وجَعَلَ نِعْمَتَـهُ عَلَيْكَ هِبَـةً لَـكَ لا عَارِيَـةً عِنـدَكَ ، وَأَعَـاذَكَ اللهُ مِـنْ بَطَـرِ الغِنَـى ، وذُلِّ الفَقْـرِ ، وفَرَّغَكَ اللهُ لما خَلَقَكَ لَهُ ، ولا شَغَلَكَ بما تَكَفَّلَ بِـهِ لَـكَ، وَأَعَاذَكَ مِـن الْعَجْزِ وَالكَسَـلِ ، وغَلَبَـةِ الدَّيْنِ وَالْمَـرَضِ ، وَجَعَلَ لِسَـانَكَ رَطِباً بِذِكْرِهِ ، وَقَلْبَكَ حَيًّا بِشُـكْرِهِ ، وبَدَنَكَ هَيّنًا لَيّنًا في طَاعَتِهِ ، وزَيَّنَكَ بالْمَحَبَّـةِ ومَكَارِمِ الأَخْلاقِ » .

ونحـن ندعـو بهـذا لـكل أخ في الله يجيـب دعوة الداعي إذا دعاه .

أمانة الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

حمــداً لله، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، في مبدأ الأمر ومنتهاه.

ورضي الله تعـالى عن أشـياخنا في الله، ورحم الله من سـبقنا من إخواننا إليه، ووفق أحياءنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أمَّـا بعــد: فهذا خطاب صوفي جامع، كتبه شـيخنا الإمام الرائـد إلى أحـد كرام مريديـه، احتوى على دُررٍ مـن بديع البيان، وغُـررٍ مـن فيـض الرحمن، وقـد كان لـه دويّ بالغ في الأوسـاط الصوفية وغيرها.

وكان مـن فضـل الله تعـالى أن طبـع هـذا الخطـاب مـرات عديـدة، مفـرداً أو ملحقـاً بغـيره، ونـشر بالصحـف المصريـة عـلى حلقـات في شـهر رمضان المبـارك، كـما انتشر على الشـبكة العالميـة (الانترنـت)، وترجـم إلى اللغـة الإنجليزيـة[1]، ترجمـه

---

(١) الخطاب، وترجمته الإنجليزية، تم نشرهما على الموقع الإلكتروني:
www.almoslem.net

الأخ الفاضل الشيخ يوسف محيي الدين البخور الحسني، وترجم أيضاً إلى اللغة الفرنسية ترجمه الأخ الفاضل الأستاذ المرتضى[1]، ويقوم بعض الأخوة الصالحين بترجمته إلى (اللغة الأُردية).

وهذا الخطاب ليس إلا قطعة أدبية رائعة، تسري فيها روح حكم ابن عطاء الله السكندري، وتشم منها عبق رسالة الإمام الغزالي: (أيها الولد المحب)، احتوى على لطائف الرسالة القشيرية، وتأصيل (قواعد التصوف) للإمام أحمد زروق، وإيضاحات ابن عجيبة، فهو خطاب للرُّوح والوجدان.

والخلاصة – أيها الأخ المبارك – أنه خطاب جامع ممتع، فيه قواعد وفوائد، وإشراقات روحية ورقائق، وإشارات صوفية ودقائق، يستفيد منها العامة وأهل الاختصاص، وكلما كررت النظر وجدت المزيد.

ويجدر بك – أيها الأخ المبارك – أن تستوقفك تلك العبارة المُلهِمَة المحببة إلى النفس « **يا ولدي** » التي تخللت مقاطع

(١) الترجمة الفرنسية للخطاب منشورة على الموقع الالكتروني:

www.islamophile.org/spip/article999.html

الخطاب وفصوله، والتي كثيراً ما كان يخاطب بها سيدي الأستاذ الإمام محمد زكي إبراهيم تلاميذه، والتي تجدها في كثير من كتاباته، وللعبارة أثرها الروحي، ووقعها النفسي، فهي تجمع معاني الأستاذية والإرشاد والتربية والتزكية، مع مشاعر الأبوة الحانية من تنبيه ونصيحة وتحذير، وخوف على التلميذ أو المريد، وتدل على صدقٍ وإخلاص وبذل، كلُّ تلك المعاني الجليلة تخرج في نفس واحد وكلمة واحدة، مما يوقظ الشعور، ويوثق الرابطة، ويهيئ النفس للتلقي والقبول.

وقد كانت نفسي تذهب بي كل مذهب كلما سمعتُ هذه الكلمة من شيخنا رحمه الله تعالى، وأحس أنها تخرج من أعماق قلبه، فكلما قال (يا ولدي) تترادف عليّ تلك المعاني جميعاً في صورٍ متتابعة، تشعرك بمزيد خصوصية، وبشيء من سر الاختصاص، يقف عنده من يتذوق معاني الكلمات.

وأحسب أن هذه الكلمة وأمثالها، تمثل في حد ذاتها، باباً عظيماً من أبواب التربية والسلوك، بل باباً عظيماً من أبواب الحياة الاجتماعية، والطب النفسي، وتربية النشء .

وهي من ميراث الصالحين، فها هو الإمام الغزالي يخاطب تلميذه بقوله « **أيها الولد المحب** » في كل مقطع من نصيحته المسماة بالرسالة الولدية، بينما نجد الشيخ نجم الدين كبرى في « فوائح الجمال وفواتح الجلال » يكرر قوله: « **يا حبيبي** »، بينما اختص سيدي عبد القادر الجيلاني بقوله: « **يا غلام** » في كتبه، ويُصَدِّر سيدي أحمد الرفاعي كلامه بقوله: « **أي سادة** »، وقبل هؤلاء جميعاً نجد القرآن الكريم قد سجل قول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف « **يا بني** »: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾، وقالها لإخوته: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾، ويبدأ بها لقمان وصيته لابنه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾، ويكررها لقمان في وصيته: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾، ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ

عن أمانة الدعوة

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

خطاب صوفي جامع

من الإمام الرائد إلى أحد كرام مريديه

....

يـا ولدي:

سـألتني عن التصوف الحقّ، وهـا أنا ذا - بإذن الله - أكتب إليك شيئاً مما يحضرني من (هوامشه)، وأُوَجِّهُكَ إلى بعض آفاق مشـارفه، لتتعرَّف على بعض حقائقه، فأنقـلُ إليك بعض ما قال رجالُه، وما بلَّغَني إليه حالُه، وما كان من فيض الحَقِّ جلَّ جلالُه. وقـد يفوتنـي التنسـيق والتزويق، ولكننـي أسـأَلُ الله ألاَّ يفوتني التحقيق والتوفيق.

« اللهُـمَّ إنِّي أَعُـوذُ بِـكَ أن أتَكَلَّفَ مـا لا أُحْسِـنُ، أو أقُـولَ مـا لا أَعْلَـمُ، أو أُمَـارِيَ في حَـقٍّ أعْتَقِـدُهُ، أو أُجَـادِلَ عـن بَاطِلٍ أنْتَقِــدُهُ، أو أَتَّخِذَ العِلْمَ صِنَاعَةً، أو الدِّينَ بِضَاعَةً، أو أَطْلُبَ الدُّنْيَا بنسْيَانِ رَبِّ الدُّنْيَا، أو أَعْمَلَ للآخِرَةِ رِيَاءً وزُوراً ».

يا ولدي:

قالوا: التصوفُ العملي تجربةٌ تصل بك إلى التذوق والصفاء والمشاهدة والوصول إلى سرِّ الذات[1]، والخلافة على الأرض، وسبيله: العلم والعبادة، فلا يغني عنك فيه سواك، فإنَّه لا يمكن أن يتذوق لك منه غيرك، كما لا يمكن أن ترى بعَيْن رَجُلٍ آخر.

فهل تستطيع أن تعرف طعم « التفاح » مَثَلاً دون أن تمضغه بالفعل؟ وهل يكفي أن تنظر إلى العسل، أو أن تعرف مكوناته لتتمتع بحلاوته، دون أن يحتويه الفم أو يعركه اللسان ؟.

وهل يمكن أن يتحقق الشبع، أو ينطفئ العطش بالتصور والخيال دون تناول الطعام والشراب، فعلاً وواقعاً؟ طبعاً: لا.

وكذلك لا يغني في هذه التجربة مجرد العلم، ولا تُوصِّل إليها دروبُ الفلسفة، فالعلم والفلسفة أعمال عقلية، وهذه

---

(١) ليس المقصود بسر الذات الإحاطة بكنه ذاته تعالى، معاذ الله ، بل المقصود معرفة الإنسان لذاته، فمن عرف نفسه بالعجز والافتقار فقد عرف خالقه بالقدرة والاقتدار، ومن عرفها بالضعف والذل عرف ربه بالقوة والعزة .. وهكذا. اهـ مصححه .

التجربـة من الأعمال القلبية الوجدانية، وشَـتَّان ما بينهما، غير أنَّ التعبـيرات الصوفية إذا عولجت بالإحسـاس والتعمق، والمعاناة والتـذوق، كانت قادرة على تغيير الباطـن الذي به يتغير الظاهر، فيولد الإنسان ولادة جديدة، كلها إشراقٌ وحبٌّ وبركة وإنتاج .. هكذا قال الشيوخ !

أمَّـا مجـرد قـراءة كتب التصـوف بـلا معاناة، فهــذه متعة ذهنية، وثقافة عقلية، وقد تشـارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقاً إلى الضلالة طرداً أو عكساً .

أمَّــا المنح الرُّوحيـة، والإشراقات القلبيـة، فهي نتيجة الجهـود والأعـمال، فالصوفيـة أربـاب أحـوال، لا أصحاب أقوال، ولم ينل المشاهدة مَنْ ترك الْمُجَاهَدة .

يـا ولدي:

إنَّ التصـوف خدمـة تتكيـف بحاجـة كل عـصر، وكل إنسـان، وكل وطن، فهي تجسـيد شـامل لعملية الاستخلاف

علـى الأرض، ثم إنَّ الهـدايـة أيضاً: جهـد ومعاناة، والشـيخ دليـل فقط، فمَنْ لم يَسْـعَ لم يصل، ومَنْ لـم يلتمس المعارج لا يتسـامى ولا يرتقي، ومَنْ لم يتحرك لم ينتقل، ومن اعتمد على ما عنده وحـده اغترَّ، فتَاهَ وضَلَّ.

وفي ذلك أقــول[1]:

يقـول: هـل اتخاذُ الشَّـيْــ   ـخ محتومٌ عـلى القاصِدْ ؟
فقلـتُ: وهـل ترَبَّـى قـــ   ـــط مولـودٌ بـلا والـد ؟
وهـل يُتْـمُ اليتيـم كفـا   هُ فاستَغْنَى عن الرافِـدْ ؟
وهـــل أَبـصرتَ مكـفـو   فــاً ولا يحتـاج للقائـد ؟
وهل عِلْـمٌ ، وهل فَـــنٌ   بغـير المُرْشِـد الرَّاشِـدْ ؟
وكيف يَسِـيرُ في الصّحــ   ـرا غريبٌ ؟ أعزلٌ وافد ؟
وبـــابُ الله مفـتـــوحٌ   ولكن مَنْ هـو الرَّائِـــدْ ؟
تأمَّـلْ مـا أتى « موسـى »   وقصـَّــتـه مــع العـــابد
تأمَّلْ بعثــة « الهـــادي »   ففيهـا الشـــاهد الخالـد

---

(١) ديوان البقايا، للإمام الرائد رحمه الله .

يا ولدي:

إنَّ نسبَكَ إلى الله أصَحُّ من نسبِكَ إلى أبيك .

ثُـمَّ إنَّهُ مَنْ اسـتأذن عـلى الله أَذِنَ له، ومن قـرع بابه تعالى أدخلـه، ونحن إنما نشـير إلى الحقيقـة، ونُبَيِّنُ السـبيل، ونَدَعُ المُريـدَ الصـادق ليصـل إلى غايـة الطريـق بجـهــده، فليس شـيخُكَ من سـمعتَ منه، ولكن شـيخـك من أخـذتَ عنه، ومَنْ جـاهد: عَدَلَ، ومَنْ اجتهد: وَصَلَ .

يا ولدي:

الشَّـريعةُ جـاءتْ بتكليـف الخَلْـقِ، والحَقِيقَـةُ جـاءتْ بتعريف الحَـقِّ .

فالشَّـريعَـةُ أن تَعْبُدَهُ، والطريقةُ أن تَقْصدَهُ، والحقيقـةُ أن تَشْهَـدَهُ .

ثُمَّ إنَّ الشَّريعَـةَ قيـامٌ بما أمر بـــه وبصَّر ، والحقيقةَ شهودٌ لما قضى وقـــدَّر .

وهـذا رسولُ الله ﷺ : الشَّريعةُ أقوالُهُ، والطَّرِيقَـةُ أفعـالُهُ، والحقيقَةُ أحـوالُهُ.

فشريعَةٌ بـلا حقيقة: عاطلة، وحقيقةٌ بـلا شريعة: باطلة، ولهــذا قالوا: « مَنْ تـشَرَّع ولم يتحقَّق فقـد تعوَّق أو تفسَّــق، ومَنْ تحقَّق ولم يتشرع فقد تهرطَقَ أو تزندق ».

واعلـم - **يـا ولـدي** - أنَّ الشريعـةَ ليسـت إلا الحقيقـة، والحقيقـة ليسـت إلا الشريعة، فهمـا شيءٌ واحد، لا يتـمُّ أَحَدُ جزأيه إلاَّ بالآخر، وقد جمع الحقُّ تعالى بينهُمَا، فمحالٌ أن يُفرِّقَ إنسانٌ ما جمـع الله .

ثُمَّ تأمل - **يا ولدي** -: قَوْلُكَ « **لا إله إلاَّ اللهُ** » هذه حقيقة، « **مُحَمَّــدٌ رسُـولُ الله** » هذه شريعة . فلو فـرَّق بينهما أحدٌ هَلَكَ، فإنَّ مَنْ رَدَّ الحقيقة: أَشْرَكَ، ومَنْ رَدَّ الشريعة: أَلْحَـد [1].

ثُـمَّ تأمَّـلْ قوله تعـالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ تجد الشريعة، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ تجـد الحقيقـة، وهمـا شيءٌ واحـد يسـتحيل طـرح

---

(١) والمشرك والملحد : كافران .

أحـد جزئيه .. عبـادةُ العـبد : ظاهـر الأمر، وإعانـة الله : باطِنُهُ، ولا بُدَّ لكل ظاهر من باطن، كالرُّوح في الجَسَد، والماء في العود.

الحقيقَةُ من الشَّريعَـةِ، كالثَّمَرَةِ من الشَّـجَرة، والأريج من الزَّهْرة، والحرارة من الجمرة، فلا بُدَّ من هـذه لتلك، فاستحال قيام حقيقة بغير شريعة.

يـا ولدي:

انظـر بعين عقلك وقلبك إلى هذا الدُّعَاء، الذي يناجي بـه أَحَدُ العارفين من أشياخنا ربَّه، فيقول:

« **إلهي: إذا طَلَبْتُ منكَ الدُّنْيَا فقد طلبْتُ غَيْرَكَ** [1].

وإذا سألتُكَ ما ضَمِنْتَ لي فقد اتَّهَمْتُكَ[2].

---

(١) لأن الدنيـا كلهـا ملـك الله تعـالى، فكيـف يـترك المالـك ويطلـب المملوك ؟!

(٢) مـا ضمنـه الله تعـالى أشـياء كثيرة، منها الـرزق، وقد أقسـم الله تعالى أنـه حَـقٌّ فقـال: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾، وقـد سـمعها عـربي فقـال: « مَنْ أغضب رب العزة حتى أقسم ؟ ».

وإنْ سَكَنَ قلبي إلى غَيْرِكَ فقد أشْرَكْتُ بِكَ [1] !!

جَلَّتْ أوصَافُكَ عن الحُدُوثِ فكيف أكون مَعَك[2] ؟

وَتَنَزَّهَتْ ذاتُكَ من العلل، فكيف أكونُ قريباً بذاتي منك ؟!

وتعاليْتَ عن الأغيار، فكيف يكون قوامي بغَيْرِك ؟! » .

إنَّـه كلامٌ كأنَّـه صـدىً مِن رُوح القُـدُس، وكأنَّما اقتبسـه الشـيخ مِن ألحـان الذيـن يحملون العرش، ومَـنْ حوله، ومِن تسـابيح الأرواح المهيَّمَـة بآفـاق المـلأ الأعـلى، كلامٌ فيه رائحة مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأَقباسٌ من أضواء سدرة المنتهى، وملامح من صدى الحقيقة والشريعة .

إنَّ التصوف – عندنا – هو « **علم فقه المعرفة** »، فهو تصحيح الإسلام، وتحقيق الإيمان، وتأكيد الإحسان[3] .

---

(١) ومـن سـكن قلبه إلى غير الله فقد أشرك، قال تعـالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ** ﴾ .

(٢) لأن الحـادث لا يكـون معـه إلا حـادث مثلـه ، والمعية التـي يقصدها الشيخ هنا المعية القلبية .

(٣) هـي مراتـب الحديـث المعـروف الـذي ذكـر فيـه رسـول الله ﷺ : « **الإحسـان أن تعبـد الله كأنك تـراه** »، وهو حديث معروف مشـهور بين أهل العلم .

ومـن هنا كان واجبـاً، لا يمكن تحصيله بمجـرد القراءة، ويبدو ذلك واضحاً في هؤلاء الذين يدرسون التصوف علماً، ولا يمارسـونـه عملاً!! وهم يحملـون أعلى الألقاب العلمية، وكان يسميهم والدي « عربات النقل البشرية » أو « سعاة بريد المعرفـة »، إنَّما التَّصوف رفعُ الأسـتار عـن أسرار الكونيات، لإدراك أنـوار شـموس الحقائـق، فلا بـد - مـع العلم - من المعاناة والممارسـة .

والتصـوف: **التقوى**، والتصـوف: **التزكية**، وهما مقام يجمع الخوف والرجاء، وينهض بالعقيدة والخُلُق، وبه تتحقق إنسـانية الإنسان، وإنَّه ما من آية في القرآن إلا وهي تربط الدُّنيا بالآخرة، وتجعلها وسيلة إليها، من باب التقوى وطريق التزكية .

ألـم يقـل الله تعـالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾، و﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**﴾. ألـم يكـن مِـنْ سِرِّ الرِّسَـالات: التزكيـة ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ** ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾.

نعـم: التَّصَـوفُ أدب، والعقيـدة أدب، والعبـادة أدب، والمعاملة أدب.

وهنا يصل العبد إلى رتبة (الربَّانية) بالعلم والدرس والممارسة: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾.

يا ولدي:

الصُّوفيُّ أكثَرُ من « فقيه »، فالفقيه وقف عند الأقوال [١].

والصُّوفيُّ أكثَرُ من « عابد »، إذ العابِدُ وقف عند الأعمال . أمَّا هو فقد جَمَعَ بينهما، فأثمر « الأحوال ».

والصُّوفيُّ أكثَرُ من « زاهد »، إذ الزاهد في الدنيا زاهِدٌ في لا شيء. أمَّا الصُّوفي فلا يزهد إلا فيما يحجبه عن الله، وبهذا يجعل الدنيا في يده، لا في قلبه.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى، وهو أحد تلاميذ ابن تيمية رحمه الله تبارك وتعالى ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ [الآية ١٨ من سورة المائدة] : « وقال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟! فلم يرد عليه ؛ فتلا عليه الصوفي هذه الآية ﴿ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾، وهذا الذي قاله: حسن » ... إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، فراجعه هناك لتستفيد .

وهكذا يصبح التصوف فرض عَيْن، لأنه « **طَلَبُ الكَمَالِ** »، وما من مخلوق إلا وفيه نقص يجب استكماله، وبالتالي كان كل عِلْم يمكن الاستغناء عنه إلا التصوف، لأن موضوعه: الذاتُ والرُّوح، وعَلاقَةُ الوجود بالموجود، وارتباط الغيب بالشهادة، والملك بالملكوت، وكُلُّ عِلْم بعد هذا فهو: نافلة .

جاء شابٌ إلى مرشد صوفي، فقال له: يا ولدي: « إن كنت تريد الدنيا والجنَّة فعليك بفقيه، وإن كنت تريد رب الدنيا ورب الجنة فهلم إلينا ».

نعم، مَنْ وَجَدَ الله فَمَا فَقَدَ شيئًا – وإنْ فَقَد – . ومَنْ فَقَدَ الله، فَمَا وَجَدَ شيئًا – وإنْ وَجَد – . فشؤون الدنيا كلها كشؤون الآخرة كلها، ﴿ **كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾.

يا ولدي:

البَشَرُ مَدَرٌ، لا يَخْلُو مِن كَدَرٍ، فمَنْ نَظَرَ إلى الخَلْقِ: هَلَكَ، ومَنْ نَظَرَ إلى الحَقِّ: سَلَكَ ومَلَكَ.

ولكـن عليك بخلـوص النِّية من قيـود المقامـات، وأغلالِ الأحوال، وعبادة الآمال .

ثُـمَّ إنَّه ليس العَجَبُ ممن هلك كيـف هلك، ولكن العَجَبَ ممن نجا كيف نجا !

يـا ولدي:

إذا قيـل: إنَّ التصـوف مـن (الصفـاء)، فقـد أصبـح اسـم التصـوف أعظـم من أن يكون له جنس يشـتق منـه، لأن الشرط في الاشتقاق: التجانس ، والموجودات كلها: ضد (الصفاء)، إنَّها كَدَرٌ (إلا ما كان لله)، ولا يشتق الشيء من ضدِّه.

ثُمَّ إنَّ (الصُّوفي) هو صاحب الوصول.

و (المتصوف) صاحب الأصول.

والمستصوف (المتمصوف) صاحب الفضول.

وإذا رضي المحبوب: كشف المحجوب.

والتصـوف: فنـاء صفـة العبد ببقـاء صفة المعبـود، ومن هنـا كان الصوفي هو الـذي لا يَمْلِك ولا يُمْلَك، أي لا يَمْلِك نفسه، لأنه مِلْكٌ لله، وبهذا لا يَمْلِكُه غيره من مال، أو جاه، أو بـشر، ثُمَّ إنَّ صحة الملكية تكون للموجود، والصوفيُّ في حُبِّ ربـه مفقـود .

والمبتدئ في الصوفية يرى نَفْسَـه، ولكن يراها ناقصة، فهي – مع هذا – حجابٌ بينه وبين الله .

أمَّا المنتهي فقد غَضَّ بصَرَه عن نَفْسِـهِ، فـلا يراها بالكُلِّيَّة، لأنـه يـرى قَيُّومها الموجود الحق لا سـواه، ومـا لا قيّومية له من نفسه فهو عَدَمٌ مُجَسَّـد .

يـا ولدي:

الصوفيُّ قَائِمٌ بربِّـه على قلبه، وقَائِمٌ بقلبِهِ على نَفْسِهِ، وقَائِـمٌ بنَفْسِـهِ على مَـنْ يليه، وهـذه القوامـة هي التحقـق بالتصوف الرفيع: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾.

والصوفيُّ يُقِيمُ أمْرَ الخَلْقِ في مَقَامِهِ، ويُقِيمُ أمْرَ الحَقِّ في مَقَامِهِ، فيُظْهِرُ ما ينبغي أن يَظْهَرَ ، ويَسْتُرُ ما ينبغي أن يُسْتَر، ويقوم بواجب وقته كأفضل ما يقوم رجل، وبه يستقيم عاتق الميزان برُوح الربَّانية .

إنَّ الله أمرنا بالتصوف، فهو يقول: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ .

والربَّانية عندنا هي (التصوف)، فهي في الآية علم ودراسة، ومقتضى ذلك: العمل، والعمل الصحيح .

فالتصوف: هو الربَّانية، وهو التَّقوى، وهو التزكية، وثلاثتها شيءٌ واحد، لا بد لبعضه من بعض، فلا ربَّانية بلا تقوى، ولا تقوى بلا تزكية .

وتستطيع أن تُسَمِّي ذلك جميعاً: البر ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ فاقرأ آيات البِرِّ من سورة البقرة وغيرها [1]، وسترى أن جِماع ذلك وملاكه هو « الخُلُق ».

---

(١) منها: الآيات « ٤٤ » البقرة، و« ١٧٧، ١٨٩، ١٩٢ » آل عمران ، و « ٢ » سورة المائدة ، والمجادلة « ٩٠ » .

فالتَّصوف خُلُق « مَنْ زاد عليْك في الخُلُقِ: زَادَ عليْكَ في التَّصوف »، وبالتالي زاد عليك في الإنسانية، فنفع وانتفع، وأدَّى رسالة البشرية بروح سماوية عَلِيَّة.

وهكذا تشرق لك بعض معاني قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، فما كان من عظمةٍ في شؤون الدُّنيا والدِّين، فإنَّما هي أثر للخُلُق العظيم.

يا ولدي:

ليس للشيطان على الصُّوفيِّ الصَّادِقِ سَبِيلٌ، لأنَّه تحقَّق بالعُبُوديَّة المحضة، فدخَلَ في قُدُس: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾.

وقد عرف الشيطان هذا واعترف به، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، وقال: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، ومِنْ ثَمَّ كانت العبودية أعلى مراتب القرب: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾، و﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ

﴿ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾، ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾، ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ ﴾، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ .

واعْلَمْ - يا ولدي - وعَلِّم النَّاس: أنَّ التصوفَ الحَقَّ مُقَيَّدٌ بأحكام الكتاب والسُّنَّة، على أساس العزيمة، وحذار من الصيرورة إلى الرُّخْصَة، إلا في حَدِّها المحدود، فالتصوف - من حيث هو - عِلْمٌ وعَمَلٌ، وخُلُقٌ وعِبَادَةٌ، وجِهَادٌ ودَعْوَةٌ .. هُوَ أصْلٌ مُؤَصَّلٌ مما جاء به الوحي، وحثَّت عليه الشريعَةُ كما رأيْتَ، فهو كما قلنا « طلبُ الكمَالِ »، وكلُّ امرئ - مهما يكن شأنه - فيه وجه، أو وجوه من النقص، وبهذا يصبح التصوف واجباً عينياً، لا عذر لأحد معه .

(هذا هو تَصَوُّفُنَا)، وهو (علم فقه المعرفة)، ولا شأن لنا بتصوف الآخرين، و﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ .

وهكذا يكون الصوفيُّ هو (المسلم النموذجي)، تمثيلاً للإنسانية الرفيعة، واندماجاً في موكب الحياة الزاخر بالجِدِّ وبالمجد، والعمل الروحي، والعمل الحضاري الخالد.

يعيـش الصوفيُّ: بَدَنٌ مع الخَلْقِ، ورُوحٌ مع الحَقِّ، الفَرْقُ في لِسَانِهِ، والجَمْعُ مع جَنَانِهِ [1]، وهو يعلم أنَّ العمل مَعَ الغفلة خَيْرٌ من الغفلة عن العمل !!

يـا ولدي:

التصوف دعوة « الحُبِّ » الذي فقده النَّاس، ففقدوا الحقيقة الإنسانية في الأجساد البشريـة .

والحـبُّ هو: الخصيصـة المميِّزة للسـالك الصـوفي، فهو يحبُّ الله، وبالتالي يحب خلق الله، فهو يحبهم بحب ربهم، وهو بحكم حبه لهم يسعى في خيرهم وبرِّهم .

وتصـوَّر - **يـا ولـدي** - مجتمعاً يحكمـه: الحبُّ، والسَّـلام، والتَّسـامح، والتيسـير، واللين، والتعبـد، والتعاطف، والشرف، والإيثـار، وتحـرِّى معالي الأمـور ؛ كيف يكون أفـراده ؟ وكيف تمضي حضارته ؟!

---

(١) الجَنَان: بفتح الجيم: القلب .

إنَّ العنفَ، والقسـوة، والقهر، والتعالي، والخبث، والتغالي، والبـذاءة، والتعـالم، والاندفـاع، وأذى الناس: أقـذارٌ لا يعرفها التصوف.

واسـمع الآن الشـاعر الصُّـوفي يحـدو عـلى شـاطىء الحب قائلاً:

رأى المجنُونُ في الصَّحَرَاءِ كَلْباً

فمَـدَّ له مِنَ الإحسـانِ ذَيْلا !

فلامـوهُ عـلى مـا كان مِنْـهُ

وقالوا: كم أَنَلْتَ الكَلْبَ نَيْلا ؟

فقال: دَعُـوا المَلامَـةَ إنَّ عَيْنِي

رأَتْـهُ لَيْـلَـةً في حَـيٍّ « لَيْـلَى »

يـا ولدي:

يقول السادة رضي الله عنهم:

« سِرُّ الحَقِيقَـةِ ظَاهِـرٌ، وعَلَمُ المَعْرِفَـةِ منصُوبٌ، وبَابُ

الوصُـولِ مَفْتُـوحٌ ؛ ومَا حَجَبَكُمْ إلا رُؤْيَة أنفُسِـكُمْ، فعَشَّـشَ فيها الكِبْرُ وبَاضَ وأَفْرَخَ !! »، والكِبْرُ مِيرَاثُ إبْلِيس .

وهم يقولون رضي الله عنهم:

« **الطَّرِيقُ واضِحٌ، والدَّلِيلُ لائِحٌ، والدَّاعِي أَسْمَعَ، فَأَقْنَـعَ وَأَمْتَـعَ؛ ومَـا التَّحَـيُّرُ بعد ذلـك إلا مِنْ غَفْلَـةِ النَّفْـسِ، وغَلَبَـةِ الهَوَى، واعْتِقَادِ الفَضْلِ على السِّوَى** ».

يـا ولدي:

لقد كان التصوف ثورة على الترف والاستعجام والانحلال واللامبالاة ؛ فإذا دخلته المغالاة، فتلك طبيعة الأشـياء، وهذه قصة الصحابة الذين أرادوا أن يصومُوا بلا فطر، وأن يعيشـوا على الطعام الرمزي، وأن يتركوا النسـاء والأولاد، وأن يصلوا الليل بالنهار: تَعَبُّداً وانقطاعاً عن الحياة، فنهاهم الرسول ﷺ، وأرشدهم إلى الوسطية والاعتدال [1] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾.

---

(١) كان فيما قال لهم رسـول الله ﷺ : « **مَنْ رَغِبَ عن سُـنَّتي فليس منِّي** » متفق عليه .

كان ذلك والوحيُ ينزل، والرسـولُ ﷺ حيٌّ، فإذا داخل التصوف الغلاة والمتنطعون، واسـتبدلوا حكـم إحياء النفس بقتل النفس، أو اختاروا الخبيث على الطيب ؛ فليس هذا عيباً في التصوف نفسـه؛ فالتصوف شيء غير المتصوف، ولا يمكن أن يحمل الإسلامُ وزر المسلم الذي ينحرف، وهل يترك المسلم التقي إسلامه لأنَّ في المسلمين قوماً ضَلُّوا السبيل؟!.

التصـوف دعـوةٌ إلى الحريَّـة المطلقـة، والسِّـيَادة التَّامَّـة على النفس والشـهوة، وعلى الشيطان، وعلى العبودية لغير الله، وعلى كل صَغَـار خُلُقي أو فكري، فهو أصْلُ التَّحَرُر المطلق من أغلال المادة والهوى، لأنَّ الصُّوفيَّ قد تحقق بقوله: « **لا إله إلا الله** ».

فالتصـوف - **يـا ولدي** - كما رأيْتَ ، فـوق أنَّه دعوة الحب والنور، والفيض والبركة والمدد، هو **دعوة** الحرية المطلقة، ورفض كُلِّ عبودية - حسيَّـة أو معنويَّـة - لغير الله، فهو - **يا ولدي** - ردُّ اعتبار الإنسانية للإنسان، بعد ما فقد الإنسان اعتباره، واستعبدته المـادة، ومـكاره الأخـلاق، والكيـوف المتحكِّمَـة، والشَّـهوات المظلمة، والآمال المعتمـة .

التصوف – **يا ولدي** – هو ترميم بناء الباطن بعد أن تحطم الإنسان من داخله.

التصوفُ الحَقُّ: دعْوَةٌ إلى القُوَّة، والعلم، والتوحيد، والعزة، والعدالة، والمساواة، والإحياء، والتكافل، والتكامل، والتجديد، والابتكار، والسِّيَادة، والقيادة، لأنَّ الله خَلَقَ المسلم الحقَّ ليُمَارس كُلَّ هذا وما يترتب عليه، وما يتفرّع عنه، قولاً وعملاً وحالاً ﴿ **لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾، ولِكُلِّ كلمة من كل ذلك شَرْحٌ عريقٌ عميقٌ، أَصْلُهُ الكِتَابُ والسُّنَّةُ، وفرعُهُ الفَيْضُ والمدد.

وهكذا كان مَنْ فاته التصوف الحق، فقد فاته الخير الذي قد لا يُعَوَّضُ على الإطلاق، وأيُّ خَيْرٍ يكونُ إذا انقطعت عَلاقَة المرء بالسماء، وما وراء هذا من الأسرار والأنوار ؟!.

إنَّ عند « الصوفية » ما عند النَّاس، وليس عند النَّاس ما عند « الصوفية ».

يـا ولدي:

قـد يعـترض عليك بعضهم بأقوالٍ لـم يفهمها مما جاء عن بعض السلف، والسـلف بشر، فإنْ أخطئوا فوزرهم على أنفسهم، ولا نُسْأَلُ عنهم، ولا نُؤاخَذُ بما اجترحوا، ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾.

ولكننـا نعتقـد أنَّهـم أرادوا الخـير، وكانـت لهـم ظـروفٌ وصروفٌ وملابسـات، أجبرتهـم عـلى الرمـز والإشـارة، أو إلى الإلغاز والتحجية، وما دامت أقوالهم تقبل التأويل الإيماني – ولو مـن وجه واحد مـن مائة وجه آخر – فإننا نحمله على هذا الوجه الواحـد المؤمن، بحسـن الظـن، وبحكـم العلم، ونـدع ما وراء ذلـك لله وحـده، فليس أحد يقول أو يكتب شـيئاً وهو يعتقد أنه يدخل به النار!! وليس من حَقِّ أحد أن يحكم على أحد بالخروج من المِلَّة إلا بدليل لا شبهة فيه « على مثل ضوء الشمس »[1].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: « **على مثل الشمس، فاشهد أو دَعْ** » رواه الحاكم والبيهقـي عن ابن عباس مرفوعاً، ولفظه: « **إذا علمت مثل الشـمس فاشهد، وإلا فدَعْ** » ورواه الديلمي بلفظ « **يا ابن عباس، لا تشهد إلا على أمر يضيء لك كضياء الشـمس** »، ورواه الطبراني والديلمي أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ونحـن نعتقـد أنَّ لكلام القـوم مفاتيحٌ لمسـتغلقات مترامية الأبعـاد، فهـي لخاصَّـة الخاصَّـة، فما لـم نفهمهم عـلى مرادهم اليقيني فلندع لله أمرهم، ولنستغفر الله لنا ولهم .

ونقول: لعلَّهم تأولوا، أو اجتهدوا فأخطأوا، هذا موقفنا: مـبرءاً مـن الوغـى[1] والدعـوى، عـلى طريـق الحـب والخـير والأدب.

يـا ولدي:

غَايــة كُلِّ مُتَحَـرِّكٍ إلى سُـكُون، ونِهَايَـةُ كُلِّ مُتَكَـوِّنٍ ألاَّ يَكُون، فإذا كانَ ذلِكَ كَذَلِكَ، فَلِمَ التَّهَالُكُ عَلَى الهَالِكِ؟!.

يقول أشياخنا رضي الله عنهم:

أصُولُ صُحْبَتِنَا سَبْعَـةٌ:

١- عُلُوُّ الهِمَّـة .

٢- وحِفْظُ الحُرْمَـة .

---

(١) الوغى: الصوت والجلبة .

٣- وحُسْنُ الخِدْمَـة .

٤ - ونُفُوذُ العِزْمَــة .

٥ - وتَعْظِيمُ النِّعْمَــة .

٦ - والنُّصْحُ للأُمَّــة .

٧ - ودَفْعُ البَاطِلِ بالحِكْمَــة .

وهـم يقولـون: « **إذا أَلِـفَ القَلْـبُ الإعِـرَاضَ عـن الله، صَحِبَتْهُ الوقِيعَةُ في أَوْلِيَائِهِ** »[1] .

وقَلَّمَا رأيْت في خصوم التصوف رقَّـةَ الإسـلام، أو سـعة الأفق، أو سماحـة النُّبُوَّة، أو رفق الولايـة، أو حسن الظن، أو أدب المعاملة، فإن ذلك كله إنَّما ينبع من معين التواضع، الذي هـو خميرة « مكارم الأخلاق ».

وهـؤلاء قـد حُرِمُوا هــذه النعمة، فليس منهـم إلا جاف

---

(١) مـن قـول الإمـام المجمـع عـلى جلالته أبـو تـراب النخشـبي (المتوفى ٢٤٥ هـ)، انظر الرسالة القشيرية ص ١١٩ . اهـ مصححه

الطبـع، معتم القلب، غليظ الـروح، ثقيل الظِّل، مظلم، معتم، كأنما هو سجَّـانٌ فظٌّ، أو صاحب « مشنقة » كَنُود ؛ فهو متأزم، معقَّـد، حامل غلٍّ على الذيـن آمنوا [1]، يكاد الكـبر يتفجَّرُ من جَنْبَيْـه، تعالياً على النَّاسِ، وتألهاً عليهم، فقد زعَمُوا لأنفسـهم العصمة وضـمان الجنة، وأقامـوا من أشـخاصهم أوصياء على ديـن الله، كأنَّمـا الدِّين ما عندهـم وحدهم، إلا مَـنْ رحم الله، وقليلٌ ما هم.

ويعلم الله أنَّنا نأسـى لهم، ونعطف عليهم، مما ابتلاهم الله بـه، وندعو الله بظهر الغيب لهم، ولا نزال نعتقد أنَّ فيهم خَيْراً، نرجو أن يغلب عليهم، وما ذلك على الله بعزيز.

إنَّ النَّـاس لا يطلبون الله والجنَّة بما صَحَّ عند غيرهم، وإنَّمَا يطلبون ذلك بما صَحَّ عندهم، فإن أصابوا فأجران، وإن أخطأوا فأجر [2]، وعند الله مزيد، ولكل امرىءٍ ما نوى.

---

(١) أين هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية ١٠ من سورة الحشر] .

(٢) لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك .

يـا ولدي:

هذه لمحـةٌ « **على هامش التصوف** »، وأرجو أن يكون لي عودةٌ إلى مثل هذا الحديث مَعَكَ، إن كان في العمر مـدد، فهـو حديثٌ غير ممنون: ذو شؤون وشجـون !!.

وإنِّي أقول ما قال السادة: « **لو أَنَّ الخاطئين خَرِسُوا ما تَحَدَّثْنَا مِنَ البَكَمْ** »، ويعلم الله لو كان للذنوب ريحٌ ما دنا منَّا أحد[1].

أقولُ قولي هذا، وأَسْتَغْفِرُ الله لي ولكم وللمسلمين.

وهو الموفق المستعان.

*** وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ ***

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشاذلي

رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

---

(١) قال الشاعر رحمه الله تعالى:

أحسـنَ الله بـنـا أنَّ الخطايـا لا تفـوحُ

فـإذا المسـتور منّـا بـين جنبيـه فضـوحُ

معلومات عن الطريقة المحمدية

(١) **الطريقة المحمدية**: طريقة صوفية ، سلفية ، شرعية مستنيرة، معترف بها رسمياً ، **أساسها**: علم الكتاب والسنة، وهي تنتسب إلى سيدنا « **محمد** » ﷺ ، ظاهراً من طريق الأشياخ، وباطناً من طريق التلقي الروحي المباشر ، من الحضرة النبوية الشريفة .

(٢) **سند الطريقة** : شاذلي أصيل ، من طريق الإمام ابن ناصر الدرعي ، الذي ينتهي إليه نسب خاصة فروع السادات الشاذلية المباركة ؛ فهي أخت شقيقة لكل السادات الشاذلية الشرعية .

(٣) **وللطريقة أنساب أخرى للتيمن والتبرك متصلة بالأقطاب الأربعة المشاهير** ، ثم بالسادات الخلوتية والنقشبندية ، والتيجانية والكتانية وغيرها ؛ ولهذا فنحن نحب جميع الطرق الشرعية ، ونعتبر أننا أبناء عمومة روحية في الله تستوجب التعاون والمودة قولاً وعملاً .

(٤) ليس في طريقنا طبلٌ ولا زمر ، ولا رقص ولا مواكبٌ ، ولا راياتٌ ولا أوشحة ، ولا شعوذةٌ ولا تجارة ، ولا ضرائب ولا مكوس، ولا أكل لأموال الناس بالباطل ، ولا يجوز عندنا التظاهر والتفاخر على الإطلاق ، وإنما هي صورة صحيحة من أعمال السلف الصالح .

(٥) طريقتنا هذه للخواص أساساً ، ثم هي لصفوة الجماهير الراشدة ، وطلاب الحقيقة والنور ؛ فلا بد لكي تستكمل ثقافتك عن (الطريقة المحمدية) من أن تطالع (مطبوعات) الطريقة ، لتعرف مدى شرعيتها وتساميها ، مما يتناسب مع كل إنسان في كل زمان ومكان ، متناسقة مع مطالب الحياة، وتطور الواقع ، وكرامة الإنسان ، وخدمة الدين والوطن .

(٦) فلا بد من مطالعة كتاب (**البداية**) ، و(**الدليل المجمل**)، و(**المنهج**)، وأعداد مجلة (**المسلم**) ، وكتاب (**البيت المحمدي**) ، ثم الكتب الأساسية (**أصول الوصول – أبجدية التصوف – الوسيلة والقبور**) لتدفع عن قلبك

وعقلك ما يثيره خصوم التصوف وأدعياؤه من شُبَه مُضلِّلة واستشكالات باطلة، تعصباً لغير وجه الله .

(٧) **يشترط عندنا لقراءة الأوراد والأحزاب والأذكار والأدعية (منفرداً أو في جماعة)**: حسن التوجه ، وتمام الأدب ، وصحة النطق ، والفهم ولو إجمالاً ، واستحضار الرابطة الروحية ، بعد التوبة والاستغفار والاستفتاح بشيء من كتاب الله وأدعية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٨) **نحن نحب جميع أولياء الله ، أحياءً وموتى ، من كل مذهب ومشرب شرعي ، ونتبرك بهم جميعاً** ، وكما لا نفرق بين أحد من رسله تعالى ، لا نفرق بين أحد من أوليائه الصالحين ، ونترك الحكم بالأفضلية بينهم إلى الله ، الذي لا يعلم الغيب سواه ، ونقرر أن من ادعى الولاية فهو كاذب ، فالولي لا يعلن عن نفسه .

والله الموفق المستعان .

* * *

ليس هذا من التصوف

ليس من التصوف الإسلامي: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهـل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة ، أو أن ظاهر الإسـلام شيء غير باطنه ، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف .

وليس من التصوف : القول بالحلول أو الاتحاد ، أو الوحدة التي تزعـم أن الكـون هـو الله ، والله هو الكـون ، وما جاء ممـا يوهم ذلك عـلى لسـان بعضهم فهـو مؤول بما يوافـق دين الله ، أو هو مدسـوس عـلى القائـل ، أو هو مما قالـه في حالة الفناء والغيبوبة على لسـان الحق عز وجل ، ونحن نستغفر الله للجميع ، ونحسن الظن بكل مسلم .

وليس من التصوف: الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كان.

وليس من التصوف: تحريف أسماء الله والرقص بها ممطوطة ، أو محولـة إلى أصوات سـاذجة لا معنى لها ، ولا قـراءة الأوراد بغير فهم ولا إعراب .

وليـس مـن التصـوف: لبس عمائـم الريـش ، ولا حمل سـيوف الخشـب والصفيـح ، ولا القـذارة ، ولا البـلادة ، ولا البطالـة ، ولا الجهالة بدين الله ، ولا ادعاء الولاية والمتاجرة بالكرامات .

من أقوال شيخنا الإمام الرائد
في النصيحة للإخوان والمريدين

هـذه مجموعة من الأقوال الطيبة الجامعة، والحكم النافعة، كتبها نصيحـة لتلاميـذه شـيخنا الأسـتاذ الإمام محمـد زكي إبراهيـم رائد العشيرة المحمدية رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

١ - الإخوان روح واحدة في أجساد متعددة.

٢ - والإخوان أغصان متعددة من سرحة واحدة.

٣- الكسل واليأس من مفاتيح الذل والضياع.

٤ - عليك العمل، وعلى الله النتيجة.

٥ - العمل مع الغفلة خير من الغفلة عن العمل.

٦ - التوكل على غير الله تأكل، وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

٧- لا تكون الزهادة بالجهل والبلادة، وإنما هي بالجد والاستفادة، وإجادة العبادة.

٨- لا يكـون الـولي مـن رجـال الدعـاوى والظهـور، وإلا فقد استدرجه زور الفجـور، وغره بالله الغـرور، وكان في دنياه في روض ومن أخراه في تنور.

٩- الخـير والشر عـدوى وتقليد، فأصلح الفـرد تصلح الأسرة، تصلـح أخرى، تصلـح الناحية، تصلـح المجموعة، تصلح الأمـة.

١٠- على الأخ في الله: السمع والطاعة، فليس أضيع من الجامح في سوق الرضا، ولا أحمق من الهارب من سيف القضا.

١١- الأخ الأمـي في ذمـة الأخ القـارئ، والأخ الفقـير في ذمـة الغنـي، والضعيف في ذمـة القوي، فميثاق الأخوة يسـجل الحقوق، ويرتق الفتوق.

١٢ - تتألف جمعية (زاوية) الإخوان من خمسة، كما قام الإسلام من قبل على خمسة، هم:

(١) المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) أول من أسلم من الرجال (أبو بكر).

(٣) أول من أسلم من النساء (خديجة).

(٤) أول من أسلم من الموالي (بلال).

(٥) أول من أسلم من الصبيان (علي). عليهم الرضوان .

١٣- يجب أن تعظ الناس بأفعالك قبل أن تعظهم بأقوالك، فالناصح بغير حاله كالمنفق من غير ماله.

١٤- لا تورط نفسك في الكماليات، وجاهدها في ترك جميع المكيفات، ولا تجعل عليك سلطاناً لشهوة من الشهوات، واصبغ بيتك وقولك وعملك بصبغة الإسلام.

١٥ - لا تفرط في الدِّين، ولا تتنطع فيه، واعمل جهدك بالسنن، واعلم أن التقوى في القلوب، والتزم الكمال والوقار والجد، وإياك وفضول القول والعمل.

١٦- التمس العزائم، واستحضر نشاطك وهمتك، واعذر النَّاس إن أخطأوا أو قصروا، وإياك والكسل، وإياك واليأس من روح الله.

١٧- لا تنقطع عن مجالس الإخوان، وارض بأحكامهم، ونفذها بأمانة، واحفظ تعاليمهم العشرة عن ظهر قلب، واستظهر ما استطعت الأوراد والأحزاب والأدعية الخاصة بهم.

١٨- عوِّد لسانك النطق بالعربية، وثقف نفسك بالمعارف الإسلامية، وتعرف جهدك إلى السيرة النبوية، وفضِّل دائماً كل الأشياء الوطنية، والتقاليد العربية الإسلامية، وكن عملياً منفذاً ما اقتنعت به، غيوراً عليه.

١٩- احصر تعاملك بكل وسيلة مع الصناع والتجار والمحترفين من إخوانك، فإنَّما هم هم قرباك، وأحق بمودتك ونداك، وسدد ديونهم من زكاة مالك، ترض إخوانك ومولاك.

٢٠- اجعل لنفسك ورداً قرآنياً، واحمل المصحف صديقاً ووليًا، واحفظ على الأقل أربعين حديثاً نبوياً، فإنّها زادك إلى يوم تبعث حيا.

٢١- اكتف بأقل كسب ممكن في معاملة الإخوان، واصدقهم، وأحسن إليهم بما فضلوك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٢٢- اجعـل من زكاة مالك وزرعك نصيباً مفروضاً لإخوانك، وأوص لهم بجزء من تركتك قبل موتك، وانو الحج واقتصد له من مالك وإن قل.

٢٣- ارجـع في استشـارتك وتقاضيـك واسـتفتاءاتك إلى كبـار إخوانـك في الله، فإنّهم عشـيرتك وحزبـك، لئلا تضل ولا تفتضح.

٢٤- اطلب العلم حيث كان، ولا تذكر إلا مع الإخوان، فالعلم مطالب تأتلف، والذكر مشارب تختلف.

٢٥- اعلـم أن كل من لك عليه حق الولاية مطلوب منك شرعاً أن تربيه على مبادئ الإسلام ونخوته، وتلقنه تعاليم الإخوان ودروسـهم، حتى يكون بيتك حرماً مسـلماً، فيصبح وحدة بذاتها من وحدات كتائب الإخوان في جيش الله تعالى .

❊ ❊ ❊

*** و يقول شيخنا رضي الله عنه :**

- ليس الطريق لمن سبق ، إن الطريق لمن صدق .

- مَـنْ خالـف عنا فليس منا ، وإن انتسـب إلينا، ومسـئوليته فيما يأتيه عليه لا علينا .

- مَنْ اعتنق مبادئنا ، وقرأ أورادنا ، فهو منا ، وإن لم نره ولم يرنا.

*** و يقول شيخنا رضي الله عنه :**

الراغـب في مؤاخاتنـا ليبلغ كلمة الله تعـالى، ويؤدِّي واجب خلافته عن الله نحو نفسه وأهله ووطنه ودينه، على طُهْر ونظافة، ووضوح وانكشـاف، وتواضع مطلـق، وعلى رضاً من الله، ومن الشعب، ومن الدولة، بحمد الله تعالى .

فليعلم أولاً وأخيراً :

- أننا قلة فقيرة مؤمنة .

- وأنَّ قوتنـا في قلتنـا، وأنَّ فخرنـا في فقرنـا، وأنَّ سرَّ نجاحنا في إيماننا .

- وأننـا نؤمـن بالتعبـد والفضيلـة والعلـم والعمـل، وأننا نكره التفاخر والتظاهر والتكاثر والدعاوى .

- وأنَّ سبيلنا (الحق)، ولو لم يكن معنا أحد .

- وأنَّ وسـيلتنا التعبد والدعوة، والعلم والعمل، وحسـن الظن وحسن الخُلُق .

- وأنَّ مذهبنا (الحكمة والمسالمة).

- وأنَّ غايتنا (الله) تعالى وحده .

فـإن كان الراغـب في مؤاخاتنا قد أرضاه هـذا المذهب، فإن كان متصوفـاً بالفعـل فهـو على طريقتـه ومشربه وبركة شـيخه، يسـير معنا متعاونًا في تحقيق أهدافنا، ولا نطلب منه إلاّ أن يتزود بـ (المحمديـة) التـي لا يخطئها إلاّ محـروم؛ فـ (المحمدية) هي التسـامي بما أنت عليه إلى أعلى مراقيـه، وأن تحوِّل كل حركاتك وسكناتك وأفعالك إلي عبادات خالصة لله .

أمَّـا إذا لـم يكـن الأخ قد تصوف، فإن شـاء دللنـاه على من

نرجو أن يوصله إلى الله من السادة ، وإن شاء آخيناه على مشربنا الذي نمارسه في الله، سواء في ذلك الرجال والنساء والفتيان والفتيات .

*** وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ ***

---

* تمت (الطبعة السابعة) من هذه الرسالة ، وكان الفراغ من صفها ومراجعتها ومقابلة أصولها فى يوم الأربعاء ١٤ من شهر شعبان ١٤٣٠ هـ ، الموافق ٥/ ٨/ ٢٠٠٩ م ، اعتنى بها وقابلها على أصولها **تلميذ الإمام الرائد : محيي الدين حسين يوسف الإسنوي** من خريجي الأزهر الشريف ، والله الموفق المستعان .

هدية أخوية

مَن هُم "الصُّوفِيَّة" عندنا ؟!

هُم السَّادة عِبادِ الرَّحمن

١- المذكورُونَ فِي أوَاخِرِ سُورَة "الفُرقَانِ.

٢- وَالمعتَصِمُونَ بمَاجَاءَ مِن العِلمِ وَالعبادة والخلق. فى منشورات الحديثِ الشّرِيفِ وَالقرآنِ.

٣- وَالمؤثرون بخصَائصِهم الرَفيعةِ وَرُوحَانيتهِم السّلفيةِ فِي مَسيرةِ، الحُبِ والتجميع والسَّلام والسَمَاحَة والحضارة والتقدم والعُمْرَان لاَ لِجَاهٍ وَلاَ دُنيا وَلا سُلطانٍ.

٤- وَالمندمجون فى الحياة بمواهبِ التسامى وَالدعوة والمرونة والرجولة والقدوة والوسطية لله تعالى وللأوطانِ.

٥- قَلبٌ مَع الحق، وَبَدَنٌ مع الخلق، الجمع فى الجنان والفرق فى اللسان ...

وَذلكَ هُوَمَقامُ الإحسَانْ